عشرون طريقة للرياء

Her&

تأليف

سلمان بن فهد العودة

المشرف العام على شبكة الإسلام اليوم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد[1]:

فإن الرحمن ﷻ خلق الإنسان وميَّزه عن سائر المخلوقات، ميزه أولاً: بحسن جسمه، كما قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤]، فأنت لا ترى في سائر المخلوقات المرئية للعين، ما يباري الإنسان أو يماثله في كمال الجسم واستقامته وتناسقه وحسن أعضائه، وهذا فضل من الله –تعالى– ومِنَّة.

ثم إنه ميزه بميزة أخرى، أعظم وأكبر، حيث ميزه بالعقل والتكليف، فتميز عن البهائم والحيوانات، والجمادات ؛ ولهذا امتنّ الله تعالى علينا بذلك، فقال:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ [الانفطار: ٦، الانشقاق:٦]، والإنسان المخاطب بذلك ليس الجسم فحسب؛ بل العقل والروح والنفس قبل ذلك، بدليل أنه لا يدخل –في الخطاب– المجانين ؛ لأنه رفع عنهم قلم التكليف، كما قال النبي ﷺ **"رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن**

(1) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقيت في ليلة العاشر من شهر ربيع الأول عام ١٤١٤هـ، في الجامع الكبير في مدينة تبـــوك.

الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق"[1].

ولهذا كان العقلاء يعلمون أن أعظم ما امتنّ الله –تعالى– به عليهم هو: نعمة العقل والإنسانية والتكليف، وأن الله تعالى من فوق سبع سماوات يخاطبهم ويناديهم، ويأمرهم وينهاهم، وأن أعظم منّة على الإنسانية، أن يختار الله من بينها رسلاً، كما قال ﷻ:

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٦٤]

ولـــمَّا كان من تكريم الله للإنسان أن امتن عليه بنعمة التكليف، ولا جرم أنَّ أرفع درجات التكليف هى عبادة الله ﷻ بإخلاص؛ لذا فإننا سنتحدث فى هذه الرسالة عن خطر عظيم يهدد إخلاص العبد وهو الرياء، وسيكون حديثنا فى فصلين:

الفصل الأول: وسيكون الحديث فيه عن العبادة بين الظاهر والباطن.

(1) أخرجه أحمد (٢٤١٧٣ ، ٢٤١٨٢ ، ٢٤٥٩٠)، وأبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي (٣٤٣٢) وهذا لفظه، وابن ماجه (٢٠٤١) من حديث عائشة رضي الله عنها، وللحديث روايات أخرى عن غير واحد من الصحابة، وهو صحيح.

الفصل الثاني: وسنقدم فيه عشرين طريقة يتسلل بها الرياء إلى المسلم، ويدخل على نفسه من خلالها.

نسأل الله أن يكتب لنا اجتنابها والنجاة منها، وأن ينفع بهذه الرسالة إنه سميع قريب.

* * *

الفصل الأول

▫ العبادة بين الظاهر والباطن

لـمَّا خلق الله تعالى هذا المخلوق الكريم المختار خلقه للعبادة، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، وهي إرادة الله تعالى في عمل الإنسان كافة، سواء تلك العبادات المحضة الخالصة، كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، ونحوها مما لا يفعل إلا لإرادة الدار الآخرة فقط، وليس فيها مطمع دنيوي،أو ما يريد الإنسان به وجه ربه من سائر الأعمال الدنيوية المباحة، كالتجارة، أو الزراعة والحراثة، أو الاختراع، أو العلم، أو العمل الوظيفي، إذا احتسب في ذلك الأجر عند الله -تعالى- وأخلص وأدّى الأمانة التي اؤتمن عليها، وأدى العمل على وجهه الأكمل، فإنه يؤجر على ذلك، حتى قال النبي ﷺ -كما في صحيح مسلم-: "**وفي بضع أحدكم صدقة.** قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: **أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك**

إذا وضعها في الحلال كان له أجر"[(١)].

□ عبادة لكل جارحة:

وكل جارحة أو عضو في البدن له عبادة مطلوبة، فمثلاً العين: عبادتها النظر، كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:١٨٥]، وقوله: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ ﴾ [الأنعام:١١]، وهكذا النظر، سواء كان نظرًا في ملكوت السماوات والأرض، أو قراءة في علم، أو تأملاً في بديع صنع الله تعالى، أو نظرًا للمسلمين فيما ينفعهم؛ فهذا من عبادة العين.

والأذن من عبادتها: أن يسمع العبد ما يرضي الله تعالى من قرآن، أو ذكر، أو علم، أو ما أشبه ذلك؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ [الإسراء:٣٦]

وقال سبحانه -في الحديث القدسي-: "**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي**

(1) رواه مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

يسمع به، وبصره الذي يبصر به"[(١)]، يعني: فلا يسمع إلا ما يرضيني، ولا يرى إلا ما يرضيني.

وهكذا اليد عبادتها: العطاء، والبذل للمعروف، والصدقة وكذلك إنكار المنكر؛ كما قال النبي ﷺ: "**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** "[(٢)].ومن عبادة اليد كذلك: المصافحة والسلام على أخيك المسلم، فتتحاتّ[(٣)] الذنوب، ويحصل صفاء القلوب، وسلامة النفوس.

وكذلك المجاهدة في سبيل الله تعالى، ومدافعة الكفار ومقاتلتهم دون حوزات الإسلام[(٤)].

والمرأة المؤمنة مثل الرجل في ذلك، فعبادتها بيدها بمثل ما سبق، ويدخل في ذلك -أيضاً- قيامها على أبنائها، وما تعانيه من الأعمال في منـــزلها مما هو طاعة وقربة لله تعالى، وهو مرضاة

(1) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) رواه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(3) تتحاتّ: تتساقط، يقال تحاتت الشجرة: تساقط ورقها. المعجم الوسيط (١٦٠/١).

(٤)حوزات الإسلام :حدوده ونواحيه . المعجم الوسيط (٢١٣/١).

لزوجها.

وأما عبادة الرِّجل: فالمشي إلى الجُمَع والجماعات والصلوات، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ **الموتى** وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾ [يس:١٢]، أي: خطواتهم على الأرض؛ ولهذا لما هَمّ بنو سَلمةَ أن يأتوا إلى قرب المسجد، قال لهم النبي ﷺ: **"ديارَكم تكتَبْ آثارُكم"**[1]. أي: الزموا دياركم وابقوا فيها؛ فإن آثاركم وخطواتكم إلى المسجد مكتوبة عند الله تعالى: ﴿ فِى كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه:٥٢]، وكذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك:١٥]، فالمشي في الأرض (للتأمل والاعتبار) من عبادة الرِّجل كذلك.

وعندما تُذكر عبادات الجوارح يُذكر ما هو ضد ذلك وهو: المعاصي:

فإن معصية العين: تسريح النظر إلى الحرام.

ومعصية الأذن: سماع الحرام من غيبة، أو نميمة، أو زور، أو شتم، أو غناء، أو ما أشبه ذلك مما يُسْخِطُ اللهَ تعالى.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

ومعصية اللسان: الكذب، والغيبة، والنميمة، والسب والشتم، والاستهزاء والسخرية بالمؤمنين، إلى غير ذلك.

ومعصية اليد: أخذ الحرام كالسرقة أو الأذى، والاعتداء على المسلم.

ومعصية الرِّجل: المشي إلى الحرام، في بيت، أو في سوق، أو في بلد قريب، أو بعيد، فكل ذلك من معاصي الأعضاء؛ ولهذا قال القائل[1]:

لعمـــرك ما مديت كفِّي لريبة
ولا حملتني نحو فاحشـــةٍ رِجلي

ولا قادني سمعي ولابصـــري لها
ولا دلَّني رأيي عليهـــا ولا عقلي

وأعلم أني لم تصبـــني مصيبـــة
من الدهر إلا قد أصابت فتىً قبلي

فهو يفتخر بأنه قد حفظ جوارحه عن المعاصي، ما مد يده إلى معصية، ولا مشت به رجله إلى غير مرضاة الله -جل وعلا-.

(1) هو معن بن أوس. انظر صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (٢٠٦/٢).

وكذلك الحال في اللسان، فهو من أعظم الجوارح، وعبادته: ذكر الله تعالى وتسبيحه، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

ولهذا كانت الصلاة من أعظم العبادات عند الله تعالى؛ لأنها جمعت كل ألوان عبادات الجوارح؛ ففيها عبادة العين: في النظر إلى موضع السجود، وفيها عبادة الأذن: في سماع تلاوة الإمام والإنصات له، كما قال الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤]، وقال ﷺ: **"وإذا قرأ -يعني الإمام- فأنصتوا"**[1]، وفيها عبادة الجوارح: عند القيام والركوع والسجود والجلوس، وفيها عبادة اللسان بذكر الله تعالى، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، والتكبير، فالبدن كله أثناء الصلاة يخبت[2] لله تعالى ويعبده؛ ولهذا كانت الصلاة من أعظم العبادات، وأشرفها وأنفسها، وأكثرها تقربًا إلى المولى -جلَّ وعلا-، والعجيب أنه مع هذه الفضيلة الظاهرة للصلاة إلا أن الله تعالى توعد بعض المصلين، فقال: ﴿ فَوَيْلٌ للمصلين ۝ الذين هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝

(1) أخرجه مسلم (٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(2) يُخبِتُ: يخشع ويتواضع.

الذين هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون:٤-٧]، فدل ذلك على أن العبرة ليست بالحركات الظاهرة فحسب، فهؤلاء القوم موصوفون بأنهم مصلون، ومع ذلك أُوعِدوا بالويل وهو: العذاب والهلاك والنكال لهم؛ وما ذلك إلا لأنهم صلَّوا بأجسامهم، ولم تخشع قلوبهم، فأجسامهم في المساجد بين الصفوف، ووجوههم إلى القبلة؛ ولكن قلوبهم إلى غير القبلة، قلوبهم إلى غير الله تعالى، إنما يرجون ثناء الناس أو مدحتهم، أو نيل ثقتهم، أو مطمع دنيوي، أو غير ذلك، فَهُم كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [النساء:١٤٢].

❑ عبادة الباطن :

وهذا الأمر يقودنا إلى أعظم العبادات، وأهمها وأكبرها، ألا وهي: عبادة الباطن، عبادة القلب، عبادة السر، قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدين حَنِيفًا ﴾ [الروم:٣٠]، فالتوجه إلى الله تعالى، والتوكل عليه، وإرادة وجهه في الأعمال هو أعظم العبادات على الإطلاق، وصلاح القلب وتزيينه، يكون بمحبة الله

تعالى ومراقبته، التي هي ميزة للمؤمنين عن الفجار والمنافقين، وكما أن الإنسان يحرص على جمال ظاهره ويزينه بحسن الملابس، وأناقة المظهر ، ونحو ذلك من مظاهر الذوق العام ، فينبغي – أيضاً– أن يزين باطنه، وكما يكره أن يراه الناس على حال يذمونه عليها، فإنه ينبغي أن يدرك أن فساد الباطن أعظم من ذلك بكثير؛ ولهذا قال القائل:

لا يعجبنَّ مضِيمـــاً[١] حسنُ بِزَّتـــه[٢]
وهل يروق دفينًا جـــودةُ الكفنِ

فماذا ينفع الكفن الجديد الجميل على جسد ميت وكذلك لوكان الإنسان سيئ الباطن، حقودًا حسودًا، أو منافقاً ، فإنه لا ينفعه أن يكون حسن الظاهر أو منافقاً، وكما قيل – أيضاً– :

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمتـــه
أتعبت نفسك فيما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها

(1) مضيم :أي مظلوم

(2) البِزّة : الهيئة. المصباح المنير (٤٨/١)

فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

إن الإنسان لم يصبح إنسانًا مكرمًا مختارًا بقوته ولا بضخامته ، ولو كان كذلك لكان في البهائم والسباع ما هو أقوى وأضخم ؛ ولذا لم تكن أجسام الرجال مقياس فضلهم ولا سبب تقدمهم، كما قال أحد الشعراء :

ترى الرجـــل النحيف فتزدريه
وفي أثـــوابه أســـد هصـــور
ويعجبـــك الطـــرير فتبتليـــه
فيخلف ظنك الرجـــل الطرير[١]
لقد عظم البعيـــر بغير لـــبٍّ
فلم يسغـــن بالعِظَـــم البعـــير
بُغاث[٢] الطير أكثرهـــا فراخًا
وأم الصقـــر مِقـــلاةٌ نـــــزور[٣]

(1) الرجل الطرير: ذو طرة وهيئة حسنة، وجميل الوجه. العين (٤٠٤/٧)، النهاية (١١٩/٣).

(2) بُغاث الطير: ألائمها وشرارها. لسان العرب (١١٨/٢).

(٣) مقلاة نزور : أي قليلة الأفراخ . انظر الأغاني (٢١٢/١٨)

فليست العبرة بالكثرة، ولابالقوة، ولا بحسن الظاهر، وإنما العبرة بهذه المضغة(القلب) التي إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ولقد كان صدّيق هذه الأمة أبوبكر ﷺ خفيفًا نحيفًا، ومع ذلك لو وزن إيمان أبي بكر ﷺ بإيمان الأمة كلها لرجح ، وكان عبد الله بن مسعود ﷺ وهو من السابقين الأولين، ومن المقربين إلى سيد المرسلين ﷺ، ومن أقرب الناس إلى الله تعالى زلفى[1]-كما قال حذيفة بن اليمان-ﷺ: " لقد علم الْمَحْفُوظُونَ[2] من أصحاب محمد ﷺ أن ابن مسعود من أقربهم إلى الله تعالى زلفى"[3]، ومع ذلك كان صغيرًا جدًا، ضئيلاً، دقيق الساقين، حتى إنه ربما هبت الريح فلعبت به، وعن زر بن حبيش عن ابن مسعود ﷺ: "أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: **مم تضحكون؟** قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقَيْه، فقال: **والذي**

(1) الزلفى : القربى والمترلة . المعجم الوسيط (ص ٤١٢).

(2) المحفوظون : أي الذين حفظهم الله من تحريف في قول أو فعل . تحفة الأحوذي(٣٨٠٦).

(3) أخرجه البخاري(٣٧٦٢) ، والترمذي (٣٨٠٦) وهذا لفظه .

نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد "[1].

وكما أن هناك من الناس من يزينون ظاهرهم ويعتنون بأشكالهم وحسن مظهرهم، ولكنهم يغفلون عن بواطنهم، فهناك صنف آخر، قد يزين ظاهره ببعض الأعمال الصالحة التي يراها الناس، ثم لا يخل بهذه الأعمال قط؛ لأن الناس قد اعتادوا أن يروها منه، فلو أخل بذلك لقال الناس عنه: فلان قد ضعف أو رق دينه، وربما نال الناس من عرضه، أو انكسر جاهه عندهم؛ لأن جاهه مبني على أنه إمام أو عالم أو داعية، أو فقيه أو مفتٍ أو غير ذلك من المناصب، فلو أخل ببعض الرسوم التي اعتادوها منه ظاهرًا، لخاف أن يتناول الناس عرضه، فيحافظ على هذه الأشياء الظاهرة أتم المحافظة؛ لئلا ينكسر جاهه عند الناس، ولكنه لا يعتني بذلك من باب الموافقة لسنة النبي ﷺ، أو الحرص على

(1) أخرجه أحمد في المسند (٣٩٩١)، وأبو يعلى (٥٣١٠)، والطبراني (٨٤٥٢) وغيرهم من حديث ابن مسعود ﷺ، وقد أورد الهيثمي الحديث في مجمع الزوائد (٢٨٩/٩) وقال: رواه احمد وأبو يعلى والبزار من طرق : وأمثل طرقها فيه عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث على ضعفه وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح ، اهـ . وللحديث شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحيح لغيره انظرها في تحقيق مسند الإمام أحمد رقم (٣٩٩١) .

طاعة الله ﷻ؛ بل قد امتلأ باطنه بحب الدنيا، وحب الشرف والعلو، والجاه، والمنصب، فشتتت هذه الهموم قلبه، وشغلت عليه فكره، فلا يفكر في الآخرة، ولا في الاستعداد لها، ولا يفكر في أمر الأمة ومصائبها ومشكلاتها، وطرق الخلاص منها وسبل العلاج، ولا يفكر في أمر الدعوة إلى الله تعالى، ونشرها، وتذليل الصعاب في طريقها، وتطوير أعمالها؛ فأفكاره محدودة قصيرة، وطاقته العقلية ربما كانت مهدرة بغير طائل، أو هو ذو قلب لا يحمل المشاعر النبيلة العظيمة التي يجب أن تكون فيه، كمحبة الله تعالى، أو محبة عباده الصالحين، أو خوف الله تعالى، أو رجاء ثوابه، أو سوى ذلك من أعمال القلوب، فالقلب هو محل الحب والبغض، والرضا والسخط، والفرح و الحزن، وما أشبه ذلك من المشاعر.

ولهذا قال الله تعالى عن الكافرين: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد:٢٨]، فانظر كيف أصبح القلب المحور أو الأصل الذي تنبثق منه كل الأمور، فأي قيمة لعبد ربما يعمل بعض الأعمال الظاهرة ،لكنه يبغضها في قلبه، وربما يترك بعض المعاصي، ولكنه يحبها في قلبه،

ويتمناها ويفرح بحصولها، ولا يزال هذا يتمادى بالعبد حتى يفعل المعصية، ويترك الطاعة.

ومثل هذا الإنسان الذي أحب ما كره الله، وكره ما أحب الله من المقطوع به يقينًا أن جوارحه ستكون تبعًا لقلبه، وما علقه من الحب لغير الله، أو من الخوف من مخلوق، أو الخوف من الناس، أو من مرض، وفقر، وموت، أو من سلطان أن يضره، ومثله -أيضًا- الطمع والرجاء في المخلوقين؛ لتحصيل منفعة دنيوية بسببهم أو علاوة أو وظيفة، أو دفع مفسدة عن نفسه، أو عن أهله أو ماله، فإن القلب إذا تعلق بهذه الأشياء وتأله بها، فإنه ملك يملي على الجوارح ما تفعل ، فتكون الجوارح تبعًا له، فإذا استعبد القلب بمثل هذه الأمور حبًا أو خوفًا أو رجاءً؛ صارت الجوارح كلها تبعًا له؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: **"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"**(١).

---

(1) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

فالقلب يملي والجوارح تكتب؛ ولذلك جعل الله تعالى النجاة في الآخرة معلقة على صلاح القلب، فقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء:٨٨،٨٩]، فمن أتى الله بقلب سليم نفعه ماله وبنوه وعمله، ونفعته جوارحه، أما من أتى الله تعالى بقلب ميت، أو مريض، فإنه لا ينفعه ذلك.

وقد عدّ الله تعالى من لا يعمر قلبه بالمشاعر الصالحة من محبة الله، ومحبة الصالحين، ومحبة الخير، والخوف من الله تعالى ورجائه لا قلب له، وإن كانت المضغة موجودة؛ لكنها خالية خاوية، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ **وَلَاالأموات** ﴾ [فاطر:٢٢]، أي المؤمن والكافر، والعاصي والمتقي، وقال سبحانه : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

وقال النبي ﷺ " **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**"[1] ، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ **لذكرى**

(1) أخرجه البخاري (٦٤٠٧) وهذا لفظه، ومسلم (٧٧٩)، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧].

إن ذلك كله يؤكد حقيقة عظمى يجب العناية بها، وهي: أن صلاح القلب وسلامة المقاصد الباطنة، هو الأساس الذي يجب أن تقوم عليه كل الأعمال، فإذا فسد القلب لم ينفع معه عمل؛ لأن النية تفسد –حينئذٍ–، ويخرب القصد، وينحرف الإنسان، فالقلب مصدر الأعمال الظاهرة؛ ولهذا قال ﷺ:"**إنما الأعمال بالنيات**"والمراد كل الأعمال، فأعمال الجوارح صحتها وقبولها قائم على النية، "**وإنما لكل امرئ ما نوى**"[1]، ولا يدخل في ذلك أعمال القلب؛ لأنها لا تصدر فى حقيقتها إلا خالصة لوجه الله تعالى، كالخوف، والرجاء، والمحبة، بخلاف الأعمال الظاهرة التي قد يتطرق إليها الرياء؛ بل من فضائل أعمال القلوب أنه قد يحصل على الثواب ولو لم يعمل؛ ولهذا لما رجع النبي ﷺ من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال لأصحابه: " **إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم**. قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: **وهم بالمدينة حبسهم العذر**"[2].

(1) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(2) أخرجه البخاري (٤٤٢٣) من حديث أنس ﷺ .

ومن هذا المعنى قال القائل:

يا راحلين إلى البيت العتيق لقـــد
سرتم جسومًا وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنـــا على عـــذر نكابده
ومن أقام على عذر كمن راحا

وذكر النبي ﷺ: أنه يدخل الجنة أقوام لم يعملوا خيرًا لما حيل بينهم وبين ذلك، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول لأصحابه: "حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصلِّ قط؛ فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: "أصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش"[1].

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٦٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وفيه: "قال الحصين بن عبد الرحمن -وهو أحد رواة الحديث- قلت لمحمود بن لبيد: كيف كان شأن الأصيرم قال: كان يأبى الإسلام على قومه، فلما كان يوم أحد وخرج رسول الله ﷺ إلى أحد بدا له الإسلام فأسلم فأخذ سيفه فغدا حتى أتى القوم فدخل في عرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة قال: فبينما رجال بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به فقالوا: والله إن هذا للأصيرم وما جاء لقد تركناه وإنه لمنكر هذا الحديث فسألوه ما جاء به، قالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحَدَباً على قومك أو رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله ورسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله ﷺ فقاتلت حتى أصابني ما أصابني. قال: ثم

◻ الرياء من مفسدات الأعمال:

وكما يؤجر الإنسان الأجر العظيم على نيته -حتى لو تخلف العمل لعذر ما- فإن الأعمال والأقوال الظاهرة إذا لم تصحبها نية صالحة، فإنها تكون وزرًا على صاحبها، وقد تكاثرت الأحاديث في الترهيب من مفسدات الأعمال، ومن أعظمها: الرياء، ففي الحديث القدسي: **"اذهبوا للذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء"**[1]، وفي الحديث القدسي الآخر قال الله -تبارك وتعالى-:" **أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشِركَه"**[2]، وفي صحيح البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " **يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه**[3]، **فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى؛ فيجتمع إليه أهل النار**

لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: "**إنه لمن أهل الجنة**". وقد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٦٢/٩) وقال: رجاله ثقات.

(1) أخرجه الإمام أحمد (٢٣١١٩،٢٧٤٤٢) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، وقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجاله رجال الصحيح .اهـ وإسناده حسن لما في عمرو مولى المطلب بن حنطب من كلام وقد قال فيه الذهبي: صدوق.

(2) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) اندلقت أقتاب بطنه: خرجت أمعاؤه من جوفه.

فيقولون: يا فلان مالك، ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه"(١).

قد يتبادر إلى ذهن بعض الناس أن هذا عُذِّب؛ لأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مع أنه مقصر في عمله، وهذا من الخطأ العظيم؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الشرائع التي يؤجر عليها العبد إذا نوى واحتسب، وإنما عوقب هذا الإنسان؛ لأنه يفعل المنكر الذي كان ينهى عنه ويترك المعروف الذي كان يأمر به؛ ولهذا قال: **"ولا آتيه"** يعني: المعروف، وقال: **"وآتيه"** يعني: المنكر؛ فلفعله المنكر وتركه المعروف عذِّب هذا العذاب . إن هذا الرجل قد أصلح الظاهر وأفسد الباطن، فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولكنه يترك المعروف، أو يخالف إلى ما ينهى الناس عنه، فيقترف المحرمات، فكان هذا عقابه، وليس عقابه على أمره ونهيه، وأما قول الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٤٤]، فإن المعنى: أن الله تعالى عاتبهم، ووبخهم وعاقبهم؛ لأنهم يتركون الحق وهم يعلمون، ويعرضون عنه، بخلاف الذي يفعل ذلك عن جهل، فإنه إذا علم

(1) أخرجه مسلم (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد ﷺ.

امتثل؛ ولهذا ينبغي أن يعلم أنه حق على الناس أن يأمروا بالمعروف، ولو لم يفعلوه، وأن ينهوا عن المنكر، ولو فعلوه.

ولو لم يعظْ في الناس من هو مذنب
فمن يعظُ العاصين بعد محمـــد

فلا أحد بعد رسول الله ﷺ معصوم أن يقع في خطأ، وإنما الواجب على الإنسان القيام بأربعة أمور:

أولها: فعل المعروف.

الثاني: الأمر به.

الثالث: ترك المنكر.

الرابع: النهي عنه.

فإخلاله بواحدة من هذه المقامات الأربعة، لا يبيح له أن يخل بغيرها؛ ولذلك يجب على من اقترف المحرمات أن ينهى عنها، وإن كان يعملها.

إذن فالرياء في الأقوال والأعمال، هو أحد الأدواء(1) القاتلة التي بها استحق هؤلاء النار والوعيد، فيكون ظاهر الإنسان العمل

(1) الأدواء: مفردها: داءٌ، وهو المرض.

الصالح، أما باطنه فقد استقر على مراقبة المخلوقين ورضي بثوابهم من ثواب الله تعالى، فيكفيه ما يناله من الناس من الحمد والثناء والإعجاب، وهذا نوع من النفاق كان السلف يتقونه ويخافونه، كما قال الحسن البصري -رحمه الله-: "والذي نفسي بيده ما أَمِنَه إلا منافق، ولا خافه إلا مؤمن"، يعني: الرياء والنفاق، فإنهم كانوا يخشون أن ترد أعمالهم كما قال الله تعالى: ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢]، ولقد بوّب البخاري في صحيحه بابًا، فقال: باب مخافة الإنسان أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ثم ذكر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسًا في بيته منكسًا رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شر؛ كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله، وهو من أهل النار . فأتى الرجل فأخبره أنه قال: كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: اذهب إليه فقل له **"إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة"**[١].

(1) أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩) من حديث أنس رضي الله عنه. قال الحافظ في الفتح: "كان يرفع صوته ...": كذا ذكره بلفظ الغيبة، وهو التفات، وكان السياق يقتضي أن يقول: "كنت أرفع صوتي ..." اهـ. فتح الباري (٣٢٨/٧).

* * *

الفصل الثاني

عشرون طريقة للرياء

ولـــمّا كان خطر الرياء عظيمًا، وجب الاعتناء بالتحذير منه، ومن طرقه وأسبابه، ومداخله وصوره، ونذكر منها عشرين طريقة، هي صور متنوعة للرياء :

- **الطريقة الأولى: إظهار العمل:**

حيث يعمد بعض الناس إلى الحديث عن أعمالهم، ونشر فضائلهم، فكلما قعد مقعدًا قال: فعلت كذا، وتصدقت بكذا، ويقول: أنا في الواقع لا أستطيع أن أقوم في الليل أكثر من ساعتين، ولا أستطيع الصيام يوميًا، ولكن يكفيني صيام الاثنين والخميس؛ وهو بذلك يريد أن يعرّض بذكر قيامه وصيامه.

وربما أظهر العمل؛ ففعله أمام الناس؛ حتى يروه ويحمدوه عليه؛ ولهذا كان الأصل في العبادة أن يسرّها الإنسان؛ لأن ذلك أقرب للإخلاص، وأبعد عن الرياء، قال النبي ﷺ :"**أيها الناس، صلوا في بيوتكم؛ فإن أفضل صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة**"[1]

---

(1) أخرجه البخاري (٧٣١) من حديث زيد بن ثابت ﷺ.

ولهذا كان السنة في النوافل أن يصليها الإنسان في بيته سرًا؛ لأن في ذلك طرداً للشيطان، وإبعاداً للبيوت أن تكون كالقبور لا يصلى فيها، وفيه تدريب للأهل والأولاد على الصلاة، وفيه بعد عن الرياء، ويستثنى من ذلك النوافل التي تشرع فيها الجماعة، كصلاة الكسوف، أو الخسوف، أو الاستسقاء، أو العيدين – عند من يقول باستحبابهما– أو صلاة التراويح، أو ما شابه ذلك.

ومثل ذلك: الصدقة، قال الله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة:٢٧١]، فالأصل في الصدقة الإسرار، ولا يظهرها إلا إذا أمن على نفسه الرياء، ورأى أن في إظهارها خيرًا ومصلحة، كحث الناس على الصدقة، أو إحياء السنة، أو إرغام العدو، أو ما أشبه ذلك من المقاصد الشرعية، أما إظهار العمل بغير ذلك فهو خلاف المشروع.

ومثل ذلك: من يتصدق أو يقوم بعمل خيري؛ لينشر اسمه في الصحف على أنه محسن كبير، أو متصدق عظيم، أو أنه تبرع بكذا، أو فعل كذا؛ أو ليسجل في التقرير الرسمي، فهذه الأشياء

قد تكون خيرًا، إذا نوى الإنسان فيها خيراً ، كحث الناس على الصدقة، أو دعوتهم إليها، أو التنافس في المعروف، أو إرغام العدو، أو ما أشبه ذلك، وقد تكون ضد ذلك إذا قصد فيها الرياء، والعبرة بعمل القلب، كما قال ﷺ: **"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"**[1]، وقال تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٣-١٤].

- **الطريقة الثانية:الدعاوى الكاذبة:**

مثل أن يتشبع الإنسان بما لم يفعل، فيدعي ما ليس له، فيقول: إنه المجاهد المصابر، وصاحب المواقف المشهورة المشهودة، وربما زعم أنه حصل له أذى في سبيل الله تعالى وابتلاء ومحن، فإذا تحدث مع من لا يعرفون تاريخه، قال: أنا كنت أقول وكنت أفعل، وأنا أوذيت، وكنت وكنت، ويصبح كنتيًا[2] يتحدث عن تاريخ مضى، قد يكون أكثره كذب وأقله صحيح، وإنما يتشبع

(1) سبق تخريجه. انظر ص٢٥.

(2) الكنتي: الذي يحكي عن زمانه الماضي بِكُنْتُ. انظر المعجم الوسيط (٨٣٢/٢).

بهذه الأشياء أمام الناس؛ حتى يحظى بالجاه والمنــزلة، وهذا أخبث من الأول؛ لأنه جمع كما يقول المثل: "أحشفًا وسوء كِيْلة؟"[1]، فهو مراءٍ وكذاب في الوقت ذاته، وقد قال النبي ﷺ: **"المتشبع بما لم يعطَ كلابس ثَوْبَي زور"**[2]، وربما ينتقل الإنسان من بلد إلى بلد آخر؛ فيقدم نفسه لأهل البلد الجديد، لا من خلال الأعمال الصالحة التي يعرفونه بها، ويثبت لهم منها حسن بلائه وجهاده وصبره، ولكن من خلال القيل والقال، والدعاوى الفارغة، وكما قيل:

والدعاوى ما لم يقيموا عليها
بينــات أصحابهــا أدعياء

ومثله ما يفعله بعض المتعالمين[3]، فيقول: أنا لازمت الشيخ الفلاني، وأخذت عنه من العلوم، وكنت من أخلص تلاميذه، وكان

(1) الــحَشَف: أردأ التمر، وهو ما لم يُنوِ فإذا يبس صَلُب وفسد؛ فلا طعم له، ولا لحاء، ولا حلاوة، وقيل: اليابس الفاسد من التمر، وقيل: الضعيف الذي لا نوى له كالشِّيص. لسان العرب (٤٧/٩).

(2) أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠)من حديث أسماء -رضي الله عنها-.

(3) المتعالِم: الذي يحاول إظهار العلم. المعجم الوسيط (٦٤٧/٢).

يؤثرني على غيري ويقدمني، ويأذن لي في كل وقت.

أعرف شخصًا، يدعي أنه يحفظ القرآن بالقراءات السبع، ويقول: تعلمت العلم على يد عدد من المشايخ، ويذكر أئمة العلم والفتيا والدعوة في هذا الزمان، والذي أعرفه من حاله أنه كذاب كبير، لا يجيد قراءة القرآن نظرًا فضلاً عن أن يحفظه، فضلاً عن أن يكون عارفًا بالقراءات أو غيرها. وربما سلك بعضهم مسلكاً أكثر حذقاً، فتحدث عن علماء العصر – خصوصاً الموتى – و كأنهم زملاؤه وليسوا شيوخه ، فينسج القصص أو يدلسها، فيقول: حدثني الشيخ ، وقال لي ، وأخبرني ، واتصل بي ، وسألني ، ونحو ذلك مما يوحي بخصوصيته به وأثرته عنده ، ولم يكن من ذلك شيء إلا الباعث النفسي على إظهار صلة غير حقيقية ونسب في العلم دعي ، وعندما يوجد هذا النوع من المرض القلبي في المنتسبين للعلم فهو الداء الدوي .

- **الطريقة الثالثة : رياء يطرأ بعد إخلاص:**

أن يبدأ الإنسان العمل لوجه الله تعالى، فيصلي لله تعالى أو يتصدق لله تعالى، أو يذكر الله تعالى بصوته، فإذا علم أن الناس

مطلعون عليه، أو يراقبونه، زاد في عمله، فأطال صلاته أكثر مما نوى، أو تصدق بأكثر مما نوى، أو ذكر الله تعالى زيادة على ما كان في أول الأمر، ومثل هذا ينبغي له أن يدفع الرياء عن نفسه، ويقول – كما علَّم النبي ﷺ أبا بكر الصديق ﵁ في دفع الرياء: "**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلمه**"(1).

فإن استقر الرياء في قلبه، وعمل عملاً زائدًا من أجل الناس، فله إحدى حالين، الحال الأولى: إن كان هذا العمل يتجزأ كمن تصدق بمئتين، المئة الأولى لوجه الله تعالى، والمئة الثانية رياء وسمعة ، فالمئة الأولى بلغت محلها، والثانية لا يؤجر عليها؛ بل يأثم.

والثانية: إن كان العمل لا يتجزأ –كالصلاة مثلاً–؛ فإنه لا يؤجر عليها؛ بل تبطل بسبب الرياء.

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١٤٢/٤) من حديث أبي بكر الصديق ﵁ ، وأخرجه أبو يعلى (٥٨) من حديث حذيفة ﵁ عن أبي بكر ، قال الهيثمي في المجمع (٢٢٤/١٠) :رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبي سليم عن أبي محمد عن حذيفة وليث مدلس وأبو محمد إن كان هو الذي روى عن ابن مسعود ﵁ أو الذي روى عن عثمان بن عفان ﵁ فقد وثقه ابن حبان وإن كان غيرهما فلم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ. وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٥٤).

وعكس ذلك: أن بعضهم يخاف الرياء على نفسه، ويزداد خوفه ويتعاظم حتى يتحول إلى وسواس، وربما ترك العمل الصالح؛ خشية الوقوع في الرياء، فهو كما قيل: "فرَّ من الموت، وفي الموت وقع".

إن مقام الإخلاص الكامل هو مراقبة الله تعالى، والإعراض والانقطاع عن المخلوقين بالكلية، فلا يعمل من أجلهم، ولا يترك من أجلهم، وهذا يقودنا إلى:

- **الطريقة الرابعة : ترك العمل من أجل الناس:**

جاء عن الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالى- قول شديد فيمن يترك العمل من أجل الناس، قال -رحمه الله- : "ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما" ومن ذلك أن بعض الناس يتقدم للمسجد، فإذا رآه الناس خجل وخاف من الرياء، فأصبح لا يأتي إلا متأخرًا، وربما تفوته الصلاة، ثم يعتاد ذلك؛ فيصبح التبكير إلى المسجد من أثقل الأشياء عليه، وبعضهم يقرأ القرآن ويحفظه، فإذا رآه الناس أو استمعوا إلى قراءته، أو دعوا له، خاف من الرياء فترك قراءة القرآن، وربما يكون خطيبًا، أو مقرئًا للقرآن، أو

معلمًا، أو داعية؛ فيترك ذلك خوف الرياء، وهذا من الخطأ العظيم، فإن العبد ينبغي أن ينقطع عن المخلوقين؛ فلا يترك شيئًا من أجلهم، كما لا يجوز له أن يعمل شيئًا من أجلهم.

وربما كان من أسباب ذلك - أيضًا- أن العمل الذي عمله عظم في عينه، كأن يخطب الجمعة، أو يتكلم بعد الصلاة بكلمات يسيرات، يأمر فيها بمعروف أو ينهى فيها عن منكر، فيخيل إليه -حينئذ- أن هذا العمل جليل، وأن الناس تتحدث بكلامه، وأنه أصبح حديث المجالس؛ فلذلك قد يدخله شيء من العجب فيحس ذلك في نفسه فيخشى الرياء، ويرى السلامة والفكاك في ترك العمل كله ، فلا يخطب ولا يتكلم، وهذا شَرَكٌ إبليسيٌّ قديم ، ولكن علاجه الحقيقي أن يعوّد نفسه القيام بالأعمال الصالحة، مع تحقيرها في نفسه، وأن يعوّد نفسه على ألا يرفع بكلام الناس رأسًا، مع دوام المحاسبة على القصور والتقصير، ورؤية عيوب النفس، حتى إذا وجد ثناء أو مدحًا لم يتقصده ولم يطلبه، فإن ذلك لا يضره، بل هو كما قال النبي ﷺ: **"تلك عاجل بشرى**

المؤمن"[1].

❑ **الطريقة الخامسة: إظهار العبادة بأسلوب لطيف خفي:**

إن الإنسان قد يخفي العبادة ظاهرًا، لكنه يسعى إلى أن يعلمها الناس بأسلوب لطيف خفي غير مدرك، كمن يسبّح سرًا أو يستغفر سرًا، لكنه يحرك شفتيه بطريقة لافتة تدل على أنه في حال ذكر، أو يرفع صوته –أحياناً– حتى يسمعه الناس، فضالّته ثناء الناس ومدحهم، وهذا مدخل خفي ودقيق، فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى فقد يفعل الإنسان هذا من غير قصد الرياء؛ فلا يضره ذلك، وقد يفعله يريد مراءاة الناس؛ فيكون قد جمع بين الرياء والتظاهر بالإخلاص. والله تعالى يقول: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٣-١٤].

ومن ذلك: أن بعضهم إذا قرب إليه طعام، قال: اليوم الخميس، وكأنه بذلك يشير إلى أن من عادته صوم الخميس، والنبي ﷺ أرشد من دعي إلى طعام إلى أنه إن كان مفطرًا

(1) أخرجه مسلم (٢٦٤٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

فليأكل، وإن كان صائمًا فليدع لهم[1]، كأن يقول: بارك الله لكم في طعامكم وشرابكم وفيما رزقكم، وما أشبه ذلك.

❑ **الطريقة السادسة : التظاهر بالتواضع:**

قد يتظاهر الإنسان بالتواضع، وعيب النفس، ولومها وسبها وتوبيخها، وينسب لنفسه النقص والعيب في كل مناسبة؛ فيقول: أنا مسكين، الله المستعان، ما عملنا شيئًا، وإنما قصده إظهار التواضع؛ بل ربما سب نفسه، سواء أكان عن اعتقاد في نفسه أنه لا يرى نفسه شيئاً، أم من غير اعتقاد، ولا يزال يظهر، حتى يأتيه الشيطان ويقول له: أبشر، قد نجوت من الرياء، وإنما سحبه الشيطان في الرياء على وجهه، بالمراءاة بالتواضع، وذم النفس وعيبها، والواجب قصد الاعتدال، فلا يسب نفسه مظهرًا ذلك، ولا يمدحها أيضًا.

❑ **الطريقة السابعة: إظهار عيوب الآخرين:**

إن الشيطان قد يأتي المرء من قبل عيب الآخرين؛ لأنه بعيبه

(1) أخرجه مسلم (١٤٣١)، وأحمد (٧٦٩١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**إذا دُعِي أحدكم فليجب، فإن كان صائمًا فليُصلِ، وإن كان مفطرًا فليطعم**". وقوله: "**فليُصلِ**"، قال النووي: قال الجمهور: معناه فليدْعُ لأهل الطعام بالمغفرة والبركة ونحو ذلك. شرح النووي على صحيح مسلم (٢٣٦/٩).

له يكون قد زكى نفسه بنجاته وسلامته من هذا العيب، الذي اتهم به غيره، فيقول: فلان –والعياذ بالله– لا يقوم الليل أبدًا، وفلان ما رأيته صائمًا قط، وفلان لا تجود يده بالخير –على الرغم أنه أكثر مالاً مني– ومراده أن يقول : أنا لست مثلهم، فلي حظ من صلاة وصيام وصدقة، ولو عقل لقال:

لنفسي أبكي لســـت أبكي لغيرها
لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

أو يقول كما قال الشافعي:

لســـانَك لا تذكر به عورةَ امرئ
فكـــلُّك عـــوراتٌ وللنـــاس ألسن

وعينك إن أبـــدت إليك معايبًـــا
فصنها وقل: يا عين للنـــاس أعـــين

وللعيّابين والمغتابين طرائق وفنون في عيب الناس وغيبتهم؛ ليتميزوا بذلك عليهم، وليراءوا بأنهم أفضل منهم. قال شيخ

الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – [(١)]: ومنهم من يخرج الغيبة في قوالب شتى . تارةً في قالب ديانة وصلاح، فيقول: ليس لي عادة أن أذكر أحداً إلا بخير، ولا أحب الغيبة ولا الكذب ، وإنما أخبركم بأحواله . ويقول : والله إنه مسكين، أو رجل جيد؛ ولكن فيه كيت وكيت .وربما يقول: دعونا منه، الله يغفر لنا وله؛ وإنما قصده استنقاصه، وهضماً لجنابه.ويخرجون الغيبة في قوالب صلاحٍ وديانة، يخادعون الله بذلك، كما يخادعون مخلوقا، وقد رأينا منهم ألواناً كثيرةً من هذا وأشباهه .

ومنهم من يرفع غيره رياء فيرفع نفسه، فيقول:لو دعوت البارحة في صلاتي لفلان؛ لما بلغني عنه كيت وكيت، ليرفع نفسه ويضعه عند من يعتقده. أو يقول: فلان بليد الذهن قليل الفهم؛ وقصده مدح نفسه، وإثبات معرفته، وأنه أفضل منه .

ومنهم من يخرج الغيبة في قالب تمسخر ولعب، ليضحك غيره باستهزائه ومحاكاته واستصغار المستهزأ به.

---

(١) (الفتاوى : ٢٨/٢٣٧)

ومنهم من يخرج الغيبة في قالب التعجب، فيقول تعجبت من فلان كيف لا يفعل كيت وكيت؟! ومن فلان كيف وقع منه كيت وكيت، وكيف فعل كيت وكيت، فيخرج اسمه في معرض تعجبه.

ومنهم من يخرج الاغتمام، فيقول: مسكين فلان، غمني ما جرى له وما تم له، فيظن من يسمعه أنه يغتم له ويتأسف وقلبه منطوٍ على التشفي به، ولو قدر لزاد على ما به، وربما يذكره عند أعدائه ليتشفوا به . وهذا وغيره من أعظم أمراض القلوب والمخادعات لله ولخلقه .

ومنهم من يظهر الغيبة في قالب غضب وإنكار منكر، فيظهر في هذا الباب أشياء من زخارف القول، وقصده غير ما أظهر. والله المستعان .

- **الطريقة الثامنة: المحافظة على الوجاهة والمنـــزلة:**

حينما يُعرف الإنسان بين الناس، بأنه من أهل الخير والصلاح، فإن النفس تحب كسب الجاه عند هؤلاء الناس من هذا الطريق، ويخشى الإنسان أن تضعف منـــزلته، لو فرّط في

شيء، فيجاريهم ويباريهم في أشياء يفعلها، أو يظهرها لهم -لا تديّنًا-؛ لكن ليحافظ على مقامه عندهم، وربما تكلم ووعظ، لا لأنه وجد ما يدعو إلى وعظ ؛لكن لشعوره بأنه ينتظر منه كلام ووعظ وأنه لا يحسن به الخروج من غير كلام ينصت له الناس، فلم يكن مقصوده ذلك المعنى الذي تكلم عنه ؛ بل مقصوده : أن يحافظ على شخصيته وجاهه، ومنـــزلته عندهم، وهذا مدخل غامض وخفي، فإنما الأعمال بالنيات، فقد يكون أراد وجه الله تعالى فيؤجر على هذا، وقد يكون أراد حفظ جاهه عند الناس؛ فليس له إلا ما نوى.

- **الطريقة التاسعة : التحدث بما يدل على التعبد:**

ومن ذلك أن يتكلم الإنسان بما يدل على أنه يفعل بعض الطاعات، كأن يقول: إذا أكثر العبد تلاوة القرآن؛ ذلّ به لسانه، وأصبح طيّعًا فى قراءة القرآن، خاصة في قيام الليل، ومراده: أنه يفعل ذلك وقد جربه، أو يقول آخر: بعض الناس يظن أن في الصيام تعبًا، ومشقة وكلفة، ومن جرب عرف أنه لا تعب فيه، ولا تكليف ولا مشقة، ومراده: أنه من أهل هذا الباب، وربما انتقل عمله من ديوان السر إلى ديوان العلانية، كمن يقول: فلان

أذَّن -البارحة- قبل الوقت بنصف ساعة، ومراده : أن من عادته القيام قبل الفجر؛ ولهذا لما قال سعيد بن جبير لأصحابه: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ قال حصين بن عبد الرحمن: أنا، ثم استدرك قائلاً : أما إني لم أكن في صلاة،ولكني لدغت [١].

فنفى ما قد يتبادر إليهم من أنه كان يصلي، فقال: إني لدغت، فكان هذا هو السبب في عدم نومي؛ وذلك لما كان عليه السلف من ترك مدح النفس، وذكر المحاسن. وأصحاب هذه الطريقة، إن كان قصدهم الرياء، وحب المحمدة؛ فعملهم حابط، وإن لم يكن قصدهم الرياء؛ انتقل عملهم من ديوان السرّ إلى ديوان العلانية، فيقل الثواب، وينقص الأجر.

❑ الطريقة العاشرة: أن يرفع الإنسان نفسه فوق منـــزلته:

فيعتني -مثلاً- بباب من أبواب العلم، ويخوض في دقائقه ومسائله، ويراجعه، ويحفظ فيه بعض النصوص، وبعض الأقوال وبعض الكتب، فإذا وجد المجلس كبيرًا تكلم، وقال: قال فلان، وقال فلان، موردًا المسائل وأدلتها، مع العناية بذكر الكتاب

(1) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (٢٢٠)

والجزء والصفحة، فيسرد ما يحفظه، وما مراده إلا أن يقول للناس: إنه عالم؛ ليشار إليه بالبنان، ثم يتكلم بما لا يعرفه مَنْ حوله من هذه الأمور، وربما تشدّق[١] ببعض العبارات، التي لا تصلح إلا لكبار أهل العلم، فربما قال : أنا أرى كذا وكذا، وعندي أن الأمر كيت وكيت ، والذي يظهر لي ، والذي نذهب إليه في هذه المسألة ، وقلت... وما أشبه ذلك من العبارات، التي هي شأن أهل العلم، والتحقيق والنظر، وليست شأن الضعفاء والمبتدئين؛ ولهذا قال أحدهم :

يقولون هذا عندنا غير جائز
ومن أنتم حتى يكون لكم عند

❑ الطريقة الحادية عشرة: الوقيعة فى أهل العلم:

إن بعضهم قد يغريه الشيطان في الوقيعة في أهل العلم، أو الرد عليهم، وهو يريد بذلك أن يبرز ويتسلق على أكتافهم؛ ليقال رد على فلان، وأفحم علانًا، وناظر فلانًا فقطعه بالحجة وغلبه... أو ربما يسقطهم ليتميز هو، وربما تصنع الدعاء لهم؛

(1) تشدق: لوى شِدْقَه بكلام يتفصح. المعجم الوسيط (١/٤٩٥).

ليظهر الحَدَب والحرص عليهم؛ فيقول : فلان –غفر الله لنا وله– قال كذا، وفعل كذا، وفلان –نعوذ بالله من الخذلان– وقع في مثل هذا، وربما أبدى بعض الشفقة وبعض الرحمة، فقال: مسكين فلان، ابتلي بكذا، وربما أظهر شيئًا من الإعراض، فإذا ذكر عنده هذا الإنسان أعرض عنه، أو قال: دعوه يستر الله علينا وعليه، أو اتركوه لا شأن لنا به، أو أبعدونا عن الغيبة، وإنما مراده: تنقص هذا الإنسان، لكن بطريقة لبقة ذكية، لا يدركها إلا أرباب الفقه .

□ الطريقة الثانية عشرة: طلب العلم للشهرة:

ومن ذلك أن يغري الشيطان بعض الناس بطلب العلم والتوسع فيه، وقصده أن يكون مفتيًا يُقْصد للفتوى، أو عالمًا يذكر اسمه، أو مصنفًا تتداول كتبه، أو داعية يجتمع الناس إليه، وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ: إن أول من تسعّر بهم النار ثلاثة، ومنهم: " **ورجل تعلم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ؛ فقد**

قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار "[1] وذكر مثله في المجاهد والمتصدق رياءً وسمعة.

ثم إن مثل هذا الإنسان، الذي جعل له جاهًا أو منـــزلة علمية، قد يُسأل عن مسألة فلا يعرفها ولا يدركها، فيخشى إن قال : "الله أعلم"، أو "لا أدري"، سقطت مكانته أو هيبته عند الناس، وظنوا به الظنون، وأعرضوا عنه، فيقول العوام: كيف لا تعلم وأنت بهذه المنـــزلة؟ فلا يزال الشيطان والجهال يغرونه حتى يفتي بالجهل، فيتقحم النار ضالاً مضِلاً

ولهذا لما صعد بعض أحد العلم المنبر، فسئل فقال: "لا أدري"، قال أحد الحضور: هذا ليس مقام لا أدري، هذا مقام العلماء، قال: إنما علوت بقدر علمي، ولو علوت بقدر جهلي لبلغت عنان السماء، وقال الإمام مالك –رحمه الله– : "إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله" .

□ الطريقةالثالثةعشرة:إظهارالخشوع

إن الشيطان قد يغري المصلي–أحياناً–بإظهارالتواضع والتخشع والتصنع في ذلك ، فيقبض يديه ، ويرفع كتفيه، ويطأطىء

(1) أخرجه مسلم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة ﵁.

رأسه، متخاشعاً متماوتاً في حال من التصنع والتكلف لم ترد بها سنة، و لم تصدر عن إخلاص ، قال عبد الله القرشي: نظر عمر بن الخطاب إلى شـــابٍ قـــد نكس رأسه في الصلاة ، فقال له: ما هذا ؟ ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد عما في القلب فمن أظهر للناس خشوعاً غير ما في قلبه فإنما أظهر نفاقاً على نفاق[1] والسنة في ذلك معروفة: النظر إلى موضع السجود، ووضع اليدين إحداهما على الأخرى –اليمنى على اليسرى– على الصدر، أو على أعلى البطن، كما هو مذهب جماهير أهل العلم، وجاء فيه حديث وائل بن حجر، وهو أصح ما ورد في هذا الباب[٢]، وأن يعتدل الإنسان في قيامه وقعوده، وركوعه وسجوده كما كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

وربما جاء الشيطان إلى القارئ فأغراه بالبكاء؛ حتى يخشع الناس لقراءته ، ويبكون لسماع بكائه،وكلما كثر الجمع زاد في البكاء ،

(1) أخرجه الدينوري في المجالسة رقم ١٦٩٢،٣٤٣٤

(٢)أخرجه ابن خزيمة (٤٧٩) ، من حديث وائل بن حجر رضي الله عنه وأصله عند مسلم (٤٠١) بدون لفظة " على صدره "

وقطع القراءة ، وأما في دعاء القنوت فإنك راء وسامع العجب من الإغراب في الدعاء والتشقيق والتفصيل؛ لاستحلاب الدموع واستقطار البكاء[1] ، وربما قرأ آيات عظيمات، فيها الوعد والوعيد، والزجر والتهديد والتخويف، فما يبكي ولا يُبْكي، فإذا جاء دعاء القنوت سمعت الصياح والنواح، والبكاء والعويل.

قال ابن الجوزي – رحمه الله – في كتابه النفيس (تلبيس إبليس) :ذكر تبليس إبليس في التخشع ومطأطأة الرأس وإقامة الناموس : إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر، ولا يملك صاحبه دفعه ، وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكي ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد، والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا ،فتهيأ للدعاء كأنه يستنـــزل الإجابة، وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي أنه قيل له: أدع لنا، فكره ذلك واشتد عليه.

وكان في الخائفين من حمله الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء، وليس هذا بفضيله؛ لأنه لا خشوع

(1) انظر رسالة الشيخ بكر أبو زيد عن دعاء القنوت ، ففيها الخُبْر عن هذا الخَبَر .

فوق خشوع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كثيراً مما يرفع رأسه إلى السماء[1] . وفي هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها، وقد قال الله –تعالى– (أو لم يروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) وقال (قل انظروا ماذا في السموات والأرض)، وفي هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء تخاشعاً وتذللاً بزعمهم .وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : لم يكن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم- منحرفين ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم ، فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون . وعن كهمس بن الحسين: أن رجلاً تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر، أو قال: لكمه . وعن عاصم بن كليب الجرمي:قال لقي أبي عبدَ الرحمن بن الأسود وهو يمشي وكان إذا مشى يمشي جنب الحائط متخشعاً ، فقال أبي: مالك إذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط: أما – والله–

(1) أخرجه مسلم (٢٥٣١) في أثناء حديث.

إن عمر إذا مشى لشديد الوطء على الأرض، جهوري الصوت .وقال أبو خيثمه : قالت الشفا بنت عبد الله ورأت فتياناً يقصرون في المشي ويتكلمون رويداً فقالت: ما هذا ؟ قالوا: نساك. قالت : كان –والله– عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع، وهو الناسك حقاً .ا هـــ ،مختصراً[1]

❑ الطريقة الرابعة عشرة: استعظام بعض الأعمال الظاهرة ولو كانت خلاف السنة.

إن من الناس من يعظم في عينه عمل من الأعمال الظاهرة، ويغريه الشيطان بهذا العمل، حتى ولو كان هذا العمل خلاف السنة، أو خلاف الشريعة –مثلاً–، فربما تعلق بعض الشباب بالجهاد في سبيل الله تعالى، والجهاد عمل عظيم، حتى قال النبي ﷺ -كما في الصحيح-: "**إن في الجنة مئة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**"[2]، وقال ﷺ عن الإسلام: "**وذروة سنامه: الجهاد في**

(١) تلبيس إبليس (٢٨٠-٢٨٣) من الطبعة المنبريه

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

سبيل الله"[١] وجعل الله تعالى الجهاد من أعظم الأعمال، كما قال: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ **ٱلذين** ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ **خالدين** فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

[التوبة:١٩-٢٢].

فالجهاد باب عظيم من أبواب الجنة؛ ولكن الجهاد له ضوابطه وأسبابه وشروطه، والمجاهد ينبغي أن يتعلم أحكام الجهاد؛ حتى يعلم كيف يجاهد، وأين يجاهد، ومتى يجاهد، وتحت أي راية يجاهد؟كما أن المجاهد لابد أن يجاهد نفسه على صلاح النية، فكم من قتيل بين الصفين والله أعلم بنيته، وفي الصحيحين من حديث أبي موسى ﷺ، أن النبي ﷺ قال: **"من قاتل لتكون**

---

(1) أخرجه أحمد (٢١٥٤٢) والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣) من حديث معاذ بن جبل ﷺ، قال الترمذي حديث حسن صحيح.

كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"[١].

وقد قتل رجل مع النبي ﷺ فقال: **"إني رأيته في النار"**[٢]، ثم ذكر أنه رآه يعذب في بردة غلها، وآخر قاتل مع النبي ﷺ فلما اشتدت جراحه ، وضع نَصْل سيفه بالأرض ، وذبابه[٣] على صدره ثم اتكأ عليه، حتى خرج من ظهره[٤]، فمات ، وقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه في النار –والعياذ بالله تعالى–.

إذًا لابد من تصحيح النية، ولابد من العلم والمعرفة.

ولقد كانت ملحمة الجهاد التي سطرها أبناء الصحوة عظمية، سطرت فيها أعظم آيات البطولة والشجاعة، والاستعلاء على الدنيا، فقد رأينا الشباب الذين غرقوا في الملذات والترف، ينتزعون أنفسهم انتزاعًا، ويذهبون من الرفاهية والنعيم ، والراحة والدعة؛ بل من أماكن اللهو واللغو واللعب مع أقرانهم وزملائهم؛ حتى يبحثوا عن الموت في سبيل الله تعالى، على ثرى وجبال

---

(1) أخرجه البخاري (١٢٣ ، ٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ .

(2) أخرجه مسلم (١١٤) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(3) ذُباب السيف: حدُّ طرفه الذي بين شفرتيه.

(4) أخرجه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم(١١٢)، من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

أفغانستان،وفلسطين، والشيشان والبوسنة وغيرها، وفي ذلك أقاصيص وبطولات، امتلأت بها بطون الكتب والأشرطة.

وهذا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ من أن الجهاد قائم إلى قيام الساعة، على رغم كل الظروف، والتخلف الذي تمرُّ به الأمة؛ ولهذا جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أن النبي ﷺ قال: **"لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"**[1].

ولكن ينبغي أن يعلم أن الجهاد لابد فيه من إذن الأبوين، فبعضهم قد يخرج للجهاد دون إذن الأبوين، ولما سُئل النبي ﷺ: "أي العمل أحب إلى الله؟ قال: **الصلاة على وقتها**، قال: ثم أي؟ قال: **بر الوالدين**، قال: ثم أي؟ قال: **الجهاد في سبيل الله**"[2] فقدم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله تعالى، "وجاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: **أحيٌ والداك؟** قال: نعم، قال: **ففيهما فجاهد**"[3]، وفي رواية: "أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني جئت أريد الجهاد معك أبتغي وجه الله والدار

(1) أخرجه البخاري (٢٧٨٣،٢٨٢٥) ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس ﷺ.

(2) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(3) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

الآخرة، ولقد أتيت وإن والديّ ليبكيان قال: **فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما**"[1].

فبعضهم قد يأتيه الشيطان من جهة هذا الأمر الذي هو خلاف الشريعة، فيزين له -مثلاً- فريضة من الفرائض، ولو كان غيرها ألزم منها وأوجه، فيغريه بذلك حتى يتركه، وربما زين له أن هذا الأمر فرض عين، وهي من المسائل العويصة، التي لا يستطيع أن يفتي فيها إلا أئمة أهل العلم، وربما عاب بعضهم من لا يفعل ذلك ولا يعمله، وعده من القاعدين.

وربما تحدث بعضهم عن مشاهد الجهاد فقال: رأيت كذا، وفعلت كذا، وحصل لي من الكرامات كيت وكيت، وربما ادعى بعضهم ما ليس له، وقد رأيت أحدهم -مثلاً- وقد ربط يده، وزعم أنه أصيب في إحدى المعارك، ولما تحققت منه تبين لي أنه كان يتشبع بما لم يعط، ويدعي ما لم يحدث له.

ولقد كان أئمة السلف من أشد الناس تحفظًا من الرياء، خاصة في ميادين الجهاد.

(1) أخرجه أبو داود (٢٥٢٨) والنسائي (١٤٣/٧) ، وابن ماجه (٢٧٨٢) والحديث صحيح.

حدّث عَبدة بن سليمان المروزي فقال : خرجنا مع جماعة الروم ، فقام رجل من الروم قوي شديد بأسه ، لايعرض له أحد من المسلمين إلا ضربه بسيفه، حتى خافه المسلمون خوفاً شديداً، فتصدى له رجل ملثم من بين المسلمين، فعرض له فضربه حتى قطعه، ثم انصرف إلى المعسكر وهو ملثم، قال: فأقبلت عليه ففتحت لثامه وأزلته؛ لأنظر من هو، فإذا هو الإمام الجهبذ الفقيه المحدث المتصدق عبدالله بن المبارك، فغضب لذلك غضباً شديداً، وقال: حتى أنت يافلان تشنع علينا؟! (أي: تشهر بنا وتفحنا بأعمالنا) فانظر كيف سعى إلى التستر بعمله وعدم إظهاره، ثم انظر كيف قدر واستطاع أن يجمع بين الأعمال الصالحة كلها من العلم والفقـــه، والجهـــاد والصدقة، وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

❑ الطريقة الخامسة عشرة: إظهار الغيرة على الدين:

ومن ذلك -أيضًا- أن بعض الصالحين يتكلم على أهل المنكرات والمعاصي، فيطيل في ذلك، ويصف ويفصل ويتباكى، وربما سب وشتم وتوعد، وبالغ في ذلك أتم المبالغة، وكأن مراده أن يقول: إنه شديد الغيرة على الحرمات، شديد الغضب لله

تعالى، ورسوله ﷺ، والمؤمنين.وما يدري أن ما يتلبس به في هذه الحال من الرياء والتسميع أعظم من كثير من هذه المنكرات التي يتعالن بإنكارها .

❑ الطريقة السادسة عشرة : إظهار الغفلة عن المظهر:

ومن المداخل الخفية للرياء: الغفلة عن المظهر، فربما أغرى الشيطان الإنسان بأن يكون أشعث الرأس، متبذل الثياب، متظاهرًا بالتزهد والتواضع وما أشبه ذلك، والسنة أن يعتني الإنسان بمظهره، فقد كان النبي ﷺ يعتني بشعره، ويسرّحه ويطيبه، وروي أنه نهى عن الادّهان إلا غبًّا[1] (أي: يومًا بعد يوم بلا تكلف).

كما روي عنه أنه قال: **"من كان له شعر فليكرمه"**[2]، والذي يليق بالداعية، وينبغي أن يحرص عليه، أن يكون حسن الثياب، حسن الهيئة، حسن الشعر، حسن المظهر، طيب الرائحة،

(1) أخرجه أحمد (١٦٧٩٣)، والترمذي (١٧٥٦)، وأبو داود (٤١٥٩)، والنسائي (٥٠٥٥) مرفوعًا، من حديث الحسن البصري عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(2) أخرجه أبو داود (٤١٦٣)، والحاكم (٨٤٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال المناوي في فيض القدير (١١٤٣٩): رمز لحسنه - أي السيوطي- وأصله قول ابن حجر في الفتح: إسناده حسن، وله شواهد من حديث عائشة رضي الله عنها في الغيلانيات، وسنده أيضاً حسن. اهـــ.

ويعتني بتسريح شعره وتصفيفه، وتزيينه بما لا يضيع وقته، أو يفضي به إلى الانشغال بذلك، والانهماك فيه؛ ولكنه يحفظ له هيئته وحسنه، وبعده عن كل الأشياء التي يعاب بها.

- **الطريقة السابعة عشرة: اصطناع غض البصر:**

ومن ذلك إظهار الإعراض، وغض البصر، فإذا رأى الإنسان امرأة –مثلاً– أو شيئًا مما ينبغي أن يغض عنه بصره، طأطأ رأسه، والمطلوب: غض البصر لا طأطأة الرأس والتظاهر بغض البصر، وكل ذلك من التصنع والتزكية؛ بل ربما دعاه الشيطان إلى مسارقة النظر يمنة أو يسرة، قال الله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩].

- **الطريقة الثامنة عشرة : إغراء الناس بترك العبادة مخافة النفاق:**

ومن أعظم ذلك إغراء الشيطان بعض الناس بترك العبادة؛ لئلا يكون منافقًا، أو يشار إليه بخصال المنافقين، كمن يكون قارئًا للقرآن أو معلمًا أو داعيًا، ولكنه يمارس بعض المعاصي سرًا، كالنظر أو ما أشبه ذلك من الذنوب، التي يرجى له أن يتوب منها، وأن يقلع عنها عاجلاً أو آجلاً– بإذن الله–، فلا يزال

الشيطان به؛ حتى يقول له: أنت منافق؛ لأنك تتظاهر بالصلاح أمام الناس؛ ولكنك تعمل الذنوب في الخلوة، فبدلاً من أن يقنع نفسه بترك المعصية، والإقلاع عنها، والمجاهدة في ذلك؛ حتى يستقيم على الخير، فإن الشيطان يغريه بترك أعمال الخير، وترك مجالسة الصالحين، أو الصلاة أو التعليم أو الإمامة، ولا يزال يقول له: لا يليق بك أن تجمع بين هذا العمل الصالح الظاهر، وهذا العمل الخبيث الباطن، ولو علم الناس ما تعاني وتفعل وأنت في خلوتك وسرك؛ لبصقوا عليك وابتعدوا عنك وأعرضوا، فلا يزال الشيطان به، حتى يترك الأعمال الصالحة، والله يقول: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ **للذاكرين** ﴾ [هود:١١٤].

- **الطريقة التاسعة عشرة: اعتزال الناس والإعراض عنهم:**

ومن هذا: أن يعرض الإنسان عن الناس، ويعتزلهم ويبتعد عنهم، يظن بنفسه أنه خير منهم، فهذا لو اعتزلهم وقال: أخشى أن أضرهم، أو أسيء إليهم أو أظلمهم؛ لكان لذلك وجه، كما كان الإمام أحمد– آخر عمره– لما ابتعد عن الناس بعض الشيء، وتركهم إلا قليلاً، فقالوا له: يقال يا إمام إنك زهدت في الناس، فقال: "من أنا حتى أزهد في الناس، إنما الناس هم الذين زهدوا فيّ"،

لكن المذموم أن يزهد في الناس استعلاءً عليهم وذمًا لهم، واستكبارًا عن مخالطتهم؛ ثناءً على النفس، وإعجابًا وإدلالاً بعمله، وذمًا وعيبًا للناس، و"**من قال: هلك الناس، فهو أهلكهم**"[١].

- **الطريقة العشرون : الاغترار بطاعة عابرة:**

قد يغري الشيطان الإنسان بطاعة عابرة، من بكاء أو غيره، فيظن أن ذلك يكفيه، وربما رأى بعض العوام، أو بعض الناس، بكوا في رمضان في السنة مرة، أو حضروا صلاة التراويح أو القيام، أو ما أشبه ذلك، ثم قال لهم الشيطان: لا يضركم ما عملتم بعد ذلك قط، فجرَّهم وجرأهم على المعاصي، نسأل الله أن يكفينا وإياكم شر الشيطان وشركه، ونعوذ بالله من أنـــفسنا وسيئات أعمالنا.

* * *

(1) أخرجه مسلم (٢٦٢٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الخاتمة

وفى ختام هذه الرسالة، نرجو أن نكون قد وفقنا فى إبراز بعض الطرق التى يتسلل من خلالها الرياء إلى النفس، فيفسد الأعمال، ويضيع الثواب والأجر، راجين الله ﷻ أن يوفقنا جميعًا إلى الإخلاص، وأن يبعدنا عن الشرك والرياء ما علمنا منه وما لم نعلم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

* * *

فهرس

الموضوع **الصفحة**